كانت منار في طريقها مساءً إلى بيت خالها الذي لا يبعد كثيراً عن بيتها، لم تكن حرارة الشمس قد هدأت، بعد حين اعترضت سيارة طريق منار ليترجل منها شخص ملثم تبيّن انه يقصدها، أسرعت منار في السير ، وحاولت أن تجد لها مهرباً لكن الخاطف كان أسرع منها، فقد سحبها من رقبتها وكمم فمها بقطعة قماش ، صعدت منار إلى السيارة كرهاً، وانتابها الخوف الشديد توسلت إليه كي يخلي سبيلها قائلةً إنها ستتصل بوالدها ليدفع لهم ما يريدون ،فقط ألّا يمسّونها بأذى ، لكن لم يكن بوسعها فعل شيء، السائق يقود السيارة بسرعة. في منطقة المشتل رأت منار دورية الشرطة فأطلقت لسانها بصوت عالٍ تطلب النجدة من رجال الأمن لكن الشخص الجالس في المقعد الخلفي شل صوتها، حيث أمسكها من شعرها بيده اليمنى، ، ثم ضغط على رأسها في اتجاه الأسفل، وضع سكيناً على بطنها، مهددا بوضع حدّ لحياتها، إن هي تكلمت بحرف واحد، وبسرعة جنونية تسير السيارة إلى منطقة خالية من العمران. بكت توسلاً من جديد إلا أن ذلك لم ينفع. انزلها الخاطف من السيارة وتبعه السائق. جرداها من ملابسها وهما يكيلان لها الضرب ويجرحانها بالسكين للتهديد بعدم الصراخ وتناوبا على اغتصابها في مشهد متوحش.

الخطف.. تأثيرات نفسية

عصابات منظّمة تُعيد نشرَ نفسِها

موجةٌ جديدةٌ من عمليات الخطف أبطالها من أقارب الضحايا

□ بغداد / إيناس طارق

الخاطفان يتصلان بعائلة منار لطلب الفدية المالية ومقدارها ٥٠ ألف دولار. والد الفتاة يطلب سماع صوت ابنته ليتأكد أنها على قيد الحياة ،الفتاة تتكلم مع والدها الذي سألها إن كانت بخير فأجابت البنت بالنفي، الوالد يطلب من الخاطفين قتل ابنته لأنه لن يدفع لهم دينارا واحدا، فقد علم ما حدث لها وان عادت سوف تقتل لا محال.

الخطف في بغداد تحديداً تراجع منذ استتباب الأمن عام ٢٠٠٩ و٢٠١٠، لكن القضاء على هذه الظاهرة بشكل حقيقي لم يتحقق لان هناك من يحاول الحصول على المال بأسرع طريقة، وغالبا ما تكون الضحية من الميسورين.

المشكلة هي أن منار والعشرات من الضحايا أمثالها خصوصاً من الفتيات فقدوا حياتهم بعد إطلاق سراحهم لأسباب مجهولة تسجل أما انتحاراً او موتاً مفاجئاً وأكثر الأحيان يحدث الموت بسبب الاعتداء الجنسي الوحشي الذي تتعرض له الفتاة وهناك أيضا حالات سجلت لضحايا فتيان اعتدوا عليهم خاطفوهم جنسياً.

وقصة منار من بين العشرات من القصص التي يصعب سرد البعض منها لبشاعة ما تعرضن الفتيات عند اختطافهن من سوء معاملة خلفت اليأس والألم والوحدة والانعزال عن مجتمع بكامله. لا يتوقف الأمر على معاناة الاختطاف وإنما يمتد إلى عنف الأهل ضد الفتاة المغلوبة على أمرها وكأنها هي السبب لأنها خلقت فتاة وعليها أن تدفع فاتورة الحساب للمجتمع والتقاليد والأعراف والخاطفين، والثمن حياتها وبكل تبلد هو استهانة جسدها وكرامتها.

تعد جريمة الخطف واحدة من الجرائم الخطيرة التي تناولها المشرع في مختلف الدول بشيء من الشدة لان خطورتها تكمن في بث الرعب بين المواطنين وتهديد أمنهم.

وأشار قانون العقوبات إلى عقاب بعض الجرائم ذات الصلة بالمتاجرة بالأطفال ومنها جريمة الخطف التي تناولها قانون العقوبات في المواد ٤٢١- ٤٢٧ حيث عاقبت المادة ٤٢٢ (من يخطف بنفسه أو بواسطة غيره بغير إكراه أو حيلة حدثا لم يتم الثامنة عشرة من العمر بالسجن لمدة لا تزيد على ١٥ سنة)،وتجدر الإشارة إلى أن قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل اعتبر صغر السن مشدداً للعقوبة المفروضة على جرائم الاغتصاب واللواط وهتك العرض المنصوص عليها في المواد ٣٩٣ – ٣٩٨ ، فأن المشرع قد تشدد في فرض العقوبات الجنائية أكثر فأكثر إذا وقعت الجرائم . وتشير تقارير أمنية استخبارية عن إلقاء القبض على عدد كبير من العصابات المتخصصة بالخطف، خصوصا خطف الأطفال، فالخاطفون يستخدمون الهواتف لإبلاغ ذوي الضحايا والتفاوض بشأن المبالغ التي ستدفع فدية من دون خوف من رصد اتصالاتهم . أما عوائل المخطوفين فليس لهم الخيار وهم عادة لا يبلغون أجهزة الشرطة التي لا تستطيع فعل شيء إزاء الحوادث المتكررة من هذا النوع وتنفذها عصابات متخصصة تمتلك من الأسلحة ما لا يمتلكه جهاز الشرطة ،أو يتم تسليم الضحية وتسليم الفدية بعد الاتفاق بين الجهتين والأجهزة الأمنية لا تعلم شيئاً عنها .

وأكد مصدر امني رفيع المستوى من وزارة الداخلية في تصريح لـ(المدى) أن تحسن الوضع الأمني بصورة كبيرة أدى الى انحسار عمليات القتل والسلب والخطف،إضافة الى ان الاجهزة الامنية ألقت القبض على أعضاء عصابات كانت تقوم بالخطف المنظم وفق قوائم تضم أعداداً كبيرة من الشخصيات المهمة ، سواء كانوا يمثلون أساتذة جامعيين أو رجال أعمال،أو حتى شخصيات سياسية ، هذه العصابات كانت تريد زعزعة الوضع الأمني والسياسي،وتعمل على تحقيق أطماع سياسية!أما العصابات الأخرى فقد كانت تقوم بعمليات الخطف العشوائي والغاية منها الحصول على مبالغ مالية لإنفاقها على ملذاتهم الشخصية وهذه العصابات كانت تتمثل بمافيات الخطف، بدون تمييز سواء كان المخطوف رجلاً أو طفلا أو امرأة.والمساومة تكون بدفع فدية مالية تبدأ من (١٠ ٠٠٠)آلاف دولار وتنتهي أحيانا بـ١٠٠٠ ألف دولار فقط.

وحالة الطفل سلام البالغ من العمر ١١ عاما، واحدة من تلك الحالات والحوادث. سلام خرج من منزله الواقع في منطقة حي الجهاد تحديداً"شقق حي السلام" الساعة الثالثة ظهراً وكان يركب دراجته الهوائية، وبمسافة أربعة منازل يبتعد عن منزله تتوقف سيارة حديثة الموديل ، تترجل منها امرأة أنيقة المظهر لا يتجاوز عمرها الثلاثين عاماً تسأله أين بيت أبو احمد ؟ وأثناء هذه اللحظة يسحب سلام من قبل رجل يجلس داخل السيارة ، وعندما توقفت السيارة تنزل المرأة الجالسة في المقعد الأمامي تفتح باب منزل، يسحب سلام من قميصه لينزل من السيارة، ويصطحب بسرعة إلى داخل المنزل الحديث البناء،والفخم بالأثاث. صورة الدار رسمها بمخيلته لحظة فك عصبة عينيه..

بعد ذلك يرمى في غرفة معتمة لا يدخلها شعاع شمس ولا بصيص نور لضوء صناعي ،يأتي شاب يحمل بيده مفتاح السيارة ويسأله عن خاله الذي هاجر قبل عدة سنوات إلى إحدى الدول الأوربية هل ما زال يبعث لهم المال ، سلام قال له كيف تعرف "خالي" لكن الشاب يركله بقدمه على بطنه، سلام يجيب نعم يبعث لنا المال. الشاب يخرج ويأتي شاب آخر وهو نفسه الذي كان يجلس في المقعد الخلفي كان متهدل البطن ممتلئ الجسد قصير القامة سأل سلام هل تحفظ رقم موبايل احد أفراد عائلتك أجابه نعم قال اتصل بوالدك من هذا الهاتف واخبره انك خطفت ، الأب يسمع صوت ابنه يقول له بابا خطفوني. الهاتف يغلق، وسلام يجهش بالبكاء، باب الغرفة يقفل بالمفتاح من الخارج، وبعد مرور ساعات طويلة لا يعرف هل الوقت ليلا أو نهارا يدور المفتاح في باب الغرفة سلام يجلس في إحدى زوايا الغرفة جامعاً قدميه وجسده، يدخل الشاب الضعيف يترنح جسده يميناً ويساراً يطلب منه أن ينزع سرواله وإلا قتله فقد كان يحمل سكيناً بيده.

ليلتين متتاليتن يتعرض إلى الضرب والاعتداء الجنسي وبعدها يسلم إلى عائلته فاقد الوعي لا يتكلم أصيب بحالة من الخرس المؤقت والاكتئاب يعالج عند أطباء نفسيين وجودا أن الاعتداء كان شديدا واثر بشكل كبير على نفسيته افقده صوابه ، والخاطفون يتمتعون بمال عائلته بعد أن قبضوا ١٠ آلاف دولار ، ويستمرون في خطف ضحايا آخرين، ويعتاشوا على أناس فضلوا التفاوض بعيدا عن سلطة القانون.

الشيء المؤلم كثيرا أن يخطف فتى صغير لا يتعدى عمره الـ ٩ سنوات، ويتعرض إلى الاعتداء الجنسي من خاطفيه، الذين يبلغ عددهم أربعة شبان، ومقابل فعلتهم يحصلون على مبلغ ٥٠٠٠ آلاف دولار،يسلم إلى عائلته التي لم يكن بيدها فعل شيء غير السفر إلى خارج البلد لعلاج ابنهم ومحاولة طي صفحة ماضيه.

وحادثة أخرى تذهب ضحيتها، فتاة تبلغ من العمر ١٥ عاما تخطف وهي ذاهبة إلى مدرستها، يعتدى عليها من قبل خمسة شبان، يتعاطون حبوب مخدرة. عملية الاعتداء تسجل بالكاميرا "صورة وصوت "وترسل إلى عائلتها،وترمى جثة هامدة عارية أمام منزلها في ساعات الليل، والفتاة تتوفى بعد أيام ولا احد يعلم سبب وفاتها وسجلت في شهادة الوفاة "صعقة كهربائية"

وقبل عدة أيام تعرض عدد من الأطفال إلى الاختطاف في عدة مناطق من العاصمة بغداد واستقبلت مراكز الشرطة عدة بلاغات بخصوص ذلك ومن عائلات مختلفة غنية وفقيرة ،لا يعلمون الى الان شئياً عن أطفالهم، إضافة إلى أن أعمار المخطوفين تتراوح بين الرابعة والسادسة وهو العمر المناسب لتشغيلهم في التسول أو البيع لأشخاص آخرين، وتكون آلية تسفيرهم سهلة من منطقة إلى أخرى!.

تقول الدكتورة بلقيس حسين طبيبة نفسية: الخطف يترك نوعا من الخوف والتأثير على العقل والجسد ويؤثر كثيرا في طبيعة حياته حتى لو لم يتعرض إلى التعذيب لان الخطف وحده يترك أزمة نفسية كبيرة لدى المخطوف وان من يقوم بعملية الخطف لا يمكن أن يكون إنساناً بكامل وعيه،إضافة إلى انه يتمتع بقدرة ونزعة إجرامية على تنفيذ جريمته،التي تكتمل باكتمال العوامل المساعدة من حيث توفر أصدقاء السوء أو مساندة العائلة،لهذا نجد الخاطف في غالبية الأحيان ينتمي إلى عائلة لا تتمتع برابط اسري قوي،أو العكس يحدث بان يستغل احد الأولاد وضع عائلته فيتفق مع أصدقاء لمساعدته بخطف احد الأخوان او الأقارب الأغنياء لتحقيق غاية في نفسه أو انتقام من شخص قريب له،وهذا الشيء هو بداية الانحراف الخلقي الاجتماعي. إضافة الى شيء أساسي،هو الكبت الاجتماعي الذي طرأ على المجتمع العراقي،الذي اثر سلبيا على تصرفات ونفسية الشباب،والسبب الآخر التوترات الأمنية والعمليات الإرهابية التي أثرت على راحة وتفكير الشبان الذين مع الأسف، البعض منهم تأثر بما يحدث من عمليات خطف وقتل في الأفلام الأجنبية، التي شاهدها لأول مرة على شاشات عرض مفتوحة (الستلايت)،إضافة الى أن البطالة التي اجتاحت الشباب والمجتمع العراقي معا،جعلت البعض في أحيان كثيرة ينخرط في صفوف مليشيات إرهابية او عصابات مسلحة مقابل الحصول على المال،وعندما بدأت القوات الأمنية بفرض سيطرتها على الوضع الأمني أصبحت فرصتهم للحصول على المال صعبة،لتغطية مصاريفهم ونفقاتهم اللامعقولة فلم يكن أمامهم غير الخطف والحصول على فدية مالية.

ويضيف المصدر الأمني في حديثه قائلاً:إن معلومات أمنية أكدت أن عمليات الخطف تتم من قبل أشخاص مقربين من عائلة المخطوف، خصوصا ان كانوا يعلمون بأنهم يملكون المال، وحتى أنهم يقررون مبلغ الفدية وهم متأكدون أن عائلته تملك المال المطلوب،وهناك حالات كثيرة مشابهة تم اكتشافها أثبتت أن من قام بالخطف هو قريب من المخطوف أو صديق العائلة.

يذكر أن الأجهزة الأمنية كشفت في العام الماضي ٢٠١٠ عن عدد من العصابات تقوم بخطف الأطفال كانت غالبية أفرادها من النساء ،وإن معظم عمليات هذه العصابات تركز نشاطها على الأطفال حديثي الولادة لان غالبية أفرادها من النساء اللائي يعملن بمستشفيات الولادة وعملهن يمكنهن من التحرك بحرية لتنفيذ مثل هذه الجرائم ، وتبين أن الهدف من كل ذلك هو الحصول على المال من اسر ثرية سواء في العراق أم في دول مجاورة ،فهناك أكثر من جهة تمول تلك العصابات، وبعضها الآخر تقف وراءها جهات خارجية علاوة على أن هناك جهات تشتري الأطفال وغالباً ما يكون عملها هذا تحت ستار قانوني أو بحكم اتصال هاتفي مع الجهة الأمنية التي إذا شاءت الصدف واعتقلتها من اجل التنسيق معهم حول تسعير إطلاق سراحها، إضافة إلى أن مسؤول امني أكد أن أربعين شخصا اعتقلوا من عصابات مختلفة متخصصة بهذه العمليات الإجرامية، وأن جميع العصابات لا تخلو من العنصر النسوي، سواء أثناء الاختطاف أم بعد فترة احتجاز الطفل المختطف، التي غالبا ما تكون داخل البيوت،وإن أحكاما بالإعدام صدرت العام الماضي بحق سبعة من هؤلاء، مبينا أن تلك العصابات لا تنشط في بغداد وحدها، بل في اغلب محافظات العراق.

صدمة الخوف

عزلة اجتماعية

الدكتورة بلقيس حسين طبيبة نفسية: الخطف يترك نوعاً من الخوف والتأثير على العقل والجسد ويؤثر كثيراً في طبيعة حياته حتى لو لم يتعرض إلى التعذيب

فتاة تبلغ من العمر ١٥ عاماً تخطف وهي ذاهبة إلى مدرستها، يعتدى عليها من قبل خمسة شبّان، يتعاطون حبوباً مخدرة

الخاطفون يقتلون ضحاياهم في الغالب